

الموطن

تمهيد:

كان موضوع المواطنة مهماً وجذاباً ويشغل أذهان أفراد لئن المجتمع خاصة بمناسبة اقتراحات تعديل مواد الدستور. فهو موضوع له طابع الأهمية ويثير الاهتمام فى كل وطن وفى كل آن، والدخول إلى هذا الموضوع لا يتأتى إلا إذا مهدنا له بتسلسل منطقى يتقبله العقل ويساير الفكر السليم. وهذا التسلسل يتتابع ويتوالى منطقياً وفكرياً كما يلى:

– لا مواطنة بغير مواطن يعتنقها ويمارسها وتشرع وتقنن لأجله.

– لا مواطن دون موطن يقيم فيه سكناً واستقراراً.

– لا موطن يتواجد إلا إذا كان جزءاً من وطن كبير أو صغير مناسب.

إن دراسة المواطنة تستلزم بداية بحث الأساس، وهو الوطن الذى هو جزء من الوطن الذى ينتمى إليه المواطن الممارس للمواطنة. ولذلك نبدأ هذا الكتاب إن شاء الله بدراسة الوطن.

تعريف الموطن: فى اللغة له معنيان:

(أ) المعنى الضيق : يقصد به المنزل الذى يسكن المواطن فيه ، فمواطن البقر أو الغنم مرابطها وأماكنها التى تأوى إليها .
(ب) المعنى الأوسع : دائرة محل إقامة المواطن وعنوانه الذى يرتاده ويعيش فيه معظم أيامه وغالبية حياته . ويقال فلان أقام بأرض كذا وكذا أى اتخذها محلاً وسكناً يقيم فيه^(١) .

تعريف الشيخ رفاعه الطهطاوى:

هو عش الإنسان الذى درج فيه ومنه خرج ومقطع سرتة ، وهو البلد الذى فيه نشأته وتربيته وغذاؤه وهوأؤه^(٢) .

التعريف القانونى:

(أ) الشخص الطبيعى : هو المقر القانونى للشخص فيما يتعلق بنشاطه القانونى وعلاقاته مع غيره من الأشخاص بحيث يعتبر موجوداً فيه على الدوام ولو تغيب عنه بصفة مؤقتة .

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، الجزء ١٣ صفحة ٤٥١ وما بعدها ، بيروت - دار صادر سنة ١٩٦٨م .

(٢) د. محمد عمارة الشيخ رفاعه الطهطاوى فى الأعمال الكاملة ، دراسة وتحقيق بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣م صفحة ١١ وما بعدها .

(ب) الشخص الاعتبارى : موطنه منفصل عن موطن الأعضاء الذين يتكون منهم أو موطن المديرين الذين يتولون إدارته وحدده القانون بأنه المكان الذى لا يوجد فيه مركز إدارته. وفى حالة وجود فرع يعتبر مركز إدارة الفرع موطناً له^(١).

تعريف الوطن من منظور إسلامى:

موطن المواطن من البلاد الإسلامية هو المحل الذى ينوى الإقامة فيه ويتخذ فيه طريقة كسبه وعيشه ويجرى عليه عرقه وينفذ فيه حكمه فهو رعية الحاكم الذى يقيم تحت ولايته^(٢).

ويتلاقى مضمون جميع التعاريف على محور واحد هو الإقامة للمواطن فى الوطن والأصل أن تكون إقامته دائمة مستقرة فيها معاشه، وتآلفه مع أسرته وجيرانه ما لم يطرأ طارئ يبعده فترة قد تطول أو تقصر ثم يعود.

(١) د. محمود سلام زنتى - مبادئ القانون أو المدخل لدراسة القانون صفحة ٣٧٦.

(٢) د. محمد عمارة، المواطنة الإسلامية من مقال بجريدة الأخبار - العدد رقم ١٦٨٠٦ سنة ٥٤، الجمعة ٣/٣/٢٠٠٦م.

الموطن:

يمكن تقسيم الموطن إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: الموطن العام: قد عرفه القانون المدنى المصرى فى المادة ٤٢ فقرة أولى: بأنه المكان الذى يقيم فيه الشخص عادة. وينبنى على ذلك أن المكان الذى يوجد فيه الشخص لا يعد موطناً إلا إذا كانت إقامته فيه مستقرة (فالاستقرار شرط جوهرى لقيام الموطن)، ولكن استقرار الإقامة لا يعنى عدم انقطاعها فمن الممكن أن تتوفر فى الإقامة صفة الاستقرار ولو تخللتها فترات غيبة متقاربة أو متباعدة.

ويترتب على تحديد الموطن بالإقامة الفعلية المعتادة نتيجتان:

الأولى: إمكان عدم وجود موطن للشخص إذا لم يعتد الإقامة فى مكان معين ويستقر فيه كما هو الحال فى حالة البدو الرحل، وفى هذه الحالة لا مفر من الاعتداد بمكان التواجد.

الثانية: إمكان وجود أكثر من موطن للشخص الواحد، كما إذا أقام الشخص فى إحدى القرى وإحدى المدن فى وقت واحد.

القسم الثانى : الموطن الخاص : هو المقر الذى يجعل منه القانون أو الاتفاق موطناً للشخص لبعض الأعمال التى ينطوى عليها نشاطه ويتنوع كما يأتى :

١ - موطن الأعمال : هو المكان الذى يباشر فيه الشخص عملاً قد يقضى القانون بأن يكون موطناً بالنسبة لإدارة الأعمال المتعلقة به كمكتب المحامى موطناً له.

٢ - الموطن القاصر : (المأذون له الذى بلغ الثامنة عشرة والمحجور عليه لسفه أو غفلة) موطنه هو موطن وليه أو وصيه أو القيم عليه.

٣ - الموطن الإلزامى : (موطن القاصر والمحجور عليه والمفقود والغائب) هو موطن من ينوب عن هؤلاء قانوناً لأنه يباشر عنهم النشاط القانونى الخاص بهم.

٤ - المحل المختار : يقصد به أحد الأمور التالية :

(أ) إما أن يكون لتنفيذ عمل قانونى معين.

(ب) أو يقصد به تثبيت الموطن طوال مدة يستغرقها عمل محدد.

(جـ) وإما يقصد به تجنب الدائن مشاق اتخاذ إجراءات

التنفيذ فى مواجهة مدين يقيم فى مدينة أو قرية بعيدة.

(د) وإما يقصد به تركيز إجراءات فى يد وكيل معين كمحام مثلاً.

صور الموطن:

من واقع الطبيعة تتفرع صور الموطن على النحو الآتى :

المسكن : (البيت أو المنزل) : تبدأ أول صورة الموطن بالسكن الذى يقيم فيه المواطن فهو ارتباط له بالموطن وبالتالي الوطن ويجمع المسكن المواطن وأسرته ، وفيه نشأ وفيه يحيا وفيه تنقضى حياته يكفل له الأمن والاستقرار بما له من حرمة تتكفل الدولة بحمايتها والمحافظة عليها. فحرمة السكن ترقى حمايتها إلى مستوى الدساتير ، وتواجد هذا المسكن فى موقع مكانى معين يحدد الصور التى يتوالى اتساعها ، وتختلف بيئاتها وأقاليمها على النحو الآتى :

١ - القرية والقرى : هى تجمعات سكانية صغيرة الحجم نسبياً ، وهى فى الغالب تعبير عن مقر وموطن المجتمعات الريفية ، ومنها ما هو صغير ومنها ما هو كبير ومنها ما هو ظاهر أو منتظم ومنها ما هو فى طريق موعرة ويغلب على نشاطها الزراعة.

٢ - البلد والبلدة والبلاد : هى بقعة جغرافية أو مكان ما ، منها ما هو ميت ومنها ما هو طيب ومنها ما هو خبيث ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَيَاذِنُ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (٥٨). وقد تضم البلد عددًا من القرى.

٣ - المدينة والمدائن : هى تجمعات أكثر كثافة وأسبق تحضرًا وتروج فيها أسواق التجارة وتنتشر فيها أنشطة الصناعة كما تكثر فيها العمارة والترف.

٤ - الحى : هو جزء من المدينة وقسم من أقسامها تنقسم إليها ليسهل إدارتها ونظامها ويضم الحى جماعة من المواطنين المتجاورين فى منطقة جغرافية ذات حدود إدارية معترف بها.

٥ - المصر : يعنى الوطن عندما يعبر به عن رقعة معينة تنشأ فيها تجمعات من القرى أو البلدان أو المدن المتجاورة لتمثل جزءًا من الوطن ولكن قد يعبر بها عن الدولة فيخرج بها التعبير وقتئذ عن دائرة الوطن إلى دائرة الوطن. وعلى ذلك فهى مزدوجة المعنى.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

٦ - موطن البدو: هو سكان الصحراء (البيداء) التى تجاور القرى أو البلدان أو المدن ويتحدد الموطن بالنسبة لهم بمدى القرب من القرية أو البلد أو المدينة لتصبح موطناً للبدو الذين استقروا غالبية حياتهم مجاورين لأقرب منها. أما إذا تشتت البدو فى الصحراء فيتعذر تحديد موطنهم لأنهم لا يستقرون فى مكان واحد، بل يتوالى ترحالهم من موقع إلى موقع^(١).

حب الوطن:

لابد للمواطن أن يتعلق بموطنه الذى نشأ وترعرع فيه فذلك أمر طبيعى وفطرى أن تؤثر بيئة الإنسان فى لبه وفكره وقلبه، وأن يحن إلى هذا الوطن فى أى موقع ينتقل إليه حنيناً عاطفياً وجدانياً، وقد ضرب النبى ﷺ لنا المثل فى ذلك عندما وقف عند خروجه مهاجراً بالحرورة فى سوق مكة وقال ﷺ: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت)^(٢).

(١) د. صلاح مصطفى الفوال «التصوير القرآنى للمجتمع» المجلد الثانى صفحة ١٥٨ وما بعدها دار الفكر العربى.

(٢) رواه الترمذى فى كتاب المناقب، باب فضل مكة ٥ / ٧٢٢.

وقد تغنى الشاعر^(١) الحديث بحب موطنه مردداً :

وطنى وصباى وأحلامى وطنى وهواى وأيامى
ورضا أمدى وحنان أبى وخطا ولدى عند اللعب
يخطو برجاء بسام وطنى وصباى وأحلامى

فإنه وإن كان قد استعمل لفظ وطنى فإنما يقصد بها موطنى
حفاظاً على وزن الشعر ، ويؤكد ذلك ما جاء بعد ذلك من حديثه
عن صباه وأحلامه عن أمه وأبيه وولده مكونات أسرته الذين
يقيمون معه فى موطنه محل إقامته.

الموطن والهجرة:

تعرض الهجرة حالة الاستقرار التى هى جوهر وأساس
الموطن. فهى الانتقال من بقعة جغرافية إلى بقعة أخرى بقصد
الإقامة مؤقتاً أو دائماً. وهكذا فهى تقضى على حالة الاستقرار
فى الوطن الحالى لاستبداله بآخر ، وتتمثل الهجرة فى واقعة
الانتقال من مكان إلى مكان، وذلك فى السفر والارتحال
والسياحة والاعتراب والاستيطان.

(١) الشاعر أحمد محمد مخيمر من محافظة الشرقية.

الهجرة والانتقال: كل منهما انتقال ، ولكن الانتقال يطلق على الحركة المحدودة كأن تكون من مسكن إلى مسكن فى نفس الحى. أما الهجرة فهى انتقال فى الغالب من وطن إلى وطن أو من موطن إلى موطن والعكس مما يتم بالبعد.

الهجرة والارتحال: الارتحال يطلق على تحرك البدو فى الصحراء ، بينما الهجرة انتقال من وطن إلى وطن أو موطن والعكس.

الهجرة والسفر: السفر انتقال من بلد إلى بلد أو مكان إلى مكان فى داخل الوطن بينما الهجرة انتقال إلى وطن آخر بقصد الاستقرار. أما السفر فيكون لهدف تعليمى أو لغرض ترفيهى أو صحى.

الهجرة والسياحة: كل منهما انتقال ، والسياحة انتقال بقصد العلاج أو زيادة الآثار أو الترويج ، والهجرة بقصد نقل النشاط الاجتماعى أو الاقتصادى.

الهجرة والتغريب: كلاهما انتقال ، ولكن الهجرة تتم برغبة المهاجر ورضا منه خوفاً من فتنة ووقاية من الضرر. وقد أصبح ذلك الشاعر^(١) فى قوله :

(١) الشاعر زهير بن أبى سلمى من العصر الجاهلى.

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها وفرقة إخوان وفقد حبيب
فقد أوضح الشاعر أنه ضمن الثلاثة التي يعز الصبر عندما
تأتى الخروج باضطرار من البلاد المحبوبة مع مفارقة الإخوان
وفقد الحبيب.

الهجرة والاستيطان: كلاهما انتقال، ولكن الاستيطان
تسببه الهجرة، ويعنى الاستقرار بعدهما باتخاذ المكان
المهاجر إليه موطنًا.

الموطن من منظور إسلامي:

إن محل إقامة المواطن إسلاميًا لا يختلف عما سبق دراسته
والقرآن الكريم قد تعرض فى كثير من آياته للموطن فى صور
متعددة منه، فذكر التجاور فى الحى فى قوله تعالى:
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ مَن كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) (١).

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

وأورد القرية فى آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (٩٤) (١).

وذكر المدينة فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن مَّأَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٣) (٢).

وذكر البلدة فى قوله تعالى:

﴿ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ (٣).

وذكر البدو وترحالهم فى قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ (٤).
وأورد ذكر مصر فقال تعالى: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (٩١) (٥).

واعتراف القرآن الكريم بهذه المحليات كما ظهر من الأمثلة السابقة وغيرها كثير يؤكد مدى الاهتمام بالموطن كمحل لإقامة المواطن، وكذلك اهتم القرآن الكريم بالهجرة حيث وردت فيه آيات عنها:

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٩١.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٩.

منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغْمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسَعَةً فَهَاجِرُوا﴾ (٢).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

الوطن

تمهيد:

من الوطن كجزء إلى الوطن ككل يحتوى أجزاء المواطن
التي يقيم فيها المواطنون الذين يمارسون المواطنة.
وبذلك تتسع دائرة انتماء المواطن من الوطن الجزء إلى الانتساب
إلى الوطن الأم جنسية وانتماء وولاء.

تعريف الوطن:

فى اللغة: أوطن الأرض واستوطنها اتخذها وطناً^(١).
ويعلق أحد أساتذة القانون^(٢) على هذا التعريف قائلاً:
ما أبعد المعانى التى يعنيها الوطن عند ابن منظور، حيث
يتضمن الانتماء إلى الرقعة الجغرافية (وتساوى التراب
الوطنى) والروابط اللغوية والعرفية والثقافية ويكون العدو

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب الجزء ١٣، صفحة

٤٥١ بيروت؛ دار معاذ ١٩٦٨م.

(٢) د. يحيى الجمل فى مقال له بجريدة المصرى اليوم فى العدد رقم ٦٩٤

السنة الثانية - الأثنين ٨ / ٥ / ٢٠٠٦م.

واحدًا يتهدد الجميع بغض النظر عن الفروق التي تقوم بينهم.

تعريف رفاة الطهطاوى^(١) للوطن:

عرفه بأنه المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية. وهذا التعريف يصطبغ بالصبغة السياسية. وهو ما سيسير عليه مختلف المفكرين العرب بعد أن تبناه وقام بنشره وإذاعته الشيخ محمد عبده^(٢). وهناك مفاهيم ثلاثة للوطن تظهر مع أنماط ثلاثة من الوعى هى :

– الوعى الوطنى – الوعى القومى – الوعى السلفى.
ولم يكن فى استطاعة الفكر العربى فى القرن الماضى أن يعرفها وكان عذره فى ذلك أن الشروط الضرورية والكافية لظهورها وتبلورها لم تولد إلا فى المراحل اللاحقة، ولأن هذه الأنماط الثلاثة توجه بصفة عامة الأشكال المختلفة

(١) الشيخ رفاة الطهطاوى، الأعمال الكاملة دراسة وتحقيق د. محمد عمارة،

صفحة ١ وما بعدها بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣م.

(٢) أديب إسحق، الكتابات السياسية والاجتماعية، تقديم: ناجى علوش، ص ٦٦ وما بعدها بيروت، دار الطليعة.

لاستعمال كل من مفهومى الأمة والموطن وتكسيبها دلالاتها المتنوعة^(١).

أهمية الوطن:

لا غناء للإنسان المواطن عن الوطن فإن فيه حياته وفيه أرضه ومثواه ومماته، من استقلاله يستمد حرّيته ومن عزته يتمتع بكرامته، فيه أهله، نسل من أجداده الذين استوطنوه وسيتركه لأحفاده الذين سيرثونه إن لحقه شرّ ضره، وإن أصابه خير سره.

تعريف الوطن من منظور إسلامى:

هو ذلك البلد الذى نعيش فيه، هو واحة من الأمن والأمان، وهو الصدر الحنون الذى يكتنف الجميع بكل فئاتهم وعقائدهم وثقافتهم منذ الميلاد وحتى الممات وهو الملجأ والملاذ يعيش الناس على أرضه يرزقون وتحت سمائه يحتمون^(٢).

(١) مقدمة لدراسة الفكر السياسى العربى فى مائة عام فى الجامعة الأمريكية، دراسة فى الهوية والوعى صفحة ١٤٥.

(٢) محمد زكى عويس، المتأوطنون، مقال بجريدة الأخبار صفحة ٢٠ العدد ١٦٨٩٨ س ٥٥. ١٩/٦/٢٠٠٦ م.

ومع تنوع أقاليم وأقطار وقوميات الجامعة الإسلامية يكون جوامع القرآن من العقيدة والشريعة هي قبلة الجميع ، فدار الإسلام دول متصلة الأراضي متحدة العقيدة ويجمعهم القرآن واتفاقهم من أصول دينهم^(١).

والوطن في الإسلام دار (دار الإسلام) تحكمها عقيدة ومنهاج حياة وشريعة من الله. ولم يعترف الإسلام بالحدود الجغرافية ولا الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر سكان الوطن أمة واحدة والوطن الإسلامي وطن واحد مهما تباعدت أقطاره وتناهت حدوده^(٢).

حب الوطن:

إن محبة الأوطان ليست مما تميل إليه النفس ساعة ثم تنفر منه. إنما الوطنية كمظهر لحب الوطن شعور ينمو في النفس، ويزداد الهيبة في القلب ويرسخ في الفؤاد كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه واشتدت^(٣). وإن الوطنية لهي أشرف

(١) د. محمد عمارة، المواطنة الإسلامية مقال بجريدة الأخبار، العدد ١٦٨٠٦، ٥٤ في ٣/٣/٢٠٠٦م.

(٢) سيد قطب، معالم في الطريق، صفحة ١٥٨ وصفحة ١٧٦ بيروت دار الشروق.

(٣) أديب تصور مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام، صفحة ٩٥.

الروابط للأفراد والأساس المتين الذى تبنى عليه الدول القوية وكل ما يرى من آثار العمران والمدنية ما هو إلا ثمار الوطنية^(١). وإن حب الوطن والانتماء الحق إليه يدعو كل مؤمن أن يكون وفياً لتراب الوطن الذى نشأ عليه، وأن يصونه من كل غائلة ومن كل ترويع واضطراب^(٢).

حب الوطن فى الإسلام:

كل مسلم مفروض عليه أن يكمل وطنيته وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه. ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعا لمواطنيه لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين^(٣). وقد عبر الشعراء بوجودهم عن مدى حبهم لأوطانهم فقال الشاعر:

بلادى وإن جارت علىّ عزيزة وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام

(١) محمد أحمد خلف الله وآخرون، القومية العربية والإسلام، طبعة ثانية، صفحة ٨٧، بيروت.

(٢) د. أحمد عمر هاشم، الانتماء والمواطنة، مقال فى يوميات الأخبار - العدد ١٧١٠٦ س ٥٥، ١٦ / ٢ / ٢٠١١م.

(٣) مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، صفحة ١٧٥ بيروت، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر.

فمهما حدث له من وطنه فلا يمكن أن يؤثر في حبه له
وكذلك أهله الذين يعيشون معه.

أما الشاعر الحديث^(١) فقد كان في مهجره بعيداً عن وطنه
ولما حن إليه قارن بينه وبين جنة الخلد مفضلاً لوطنه على هذه
الجنة فقال:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه في الخلد نفسى
شهد الله لم يغب عن جفونى شخصه ساعة ولم يخل أمسى
وإثر عودته إلى وطنه عبر عن مدى فرحته بلقائه بقوله:

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا
فمثل عودته إلى وطنه وعودة وطنه إليه بعودة الشباب،
وهو أجمل مراحل العمر.

ويروى عن أشهر حكماء العرب^(٢) حكمة بالغة في حب
الوطن إذ يقول:

(إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحنانه إلى أوطانه).

(١) أمير الشعراء في العصر الحديث أحمد شوقي في الشوقيات.

(٢) ما يرويه الدنيورى عن حكيم العرب الأصمعى.

فكأن علامة الرجولة لا تتبين فى الرجل إلا إذا كان يحن إلى وطنه ويشتاق إليه ويضرب ذلك الحكيم المثل بثلاثة من مخلوقات الله المختلفة حيث يقول :

(ثلاث خصال فى ثلاثة أصناف : الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بعيداً ، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا ، والإنسان إلى وطنه وإن كان غير أكثر نفعا له).

ومن الممكن أن نجمل أسباب حب الوطن فى ثلاثة عناصر تشبه أن تكون حدوداً هى :

العنصر الأول : السكن الذى فيه الغذاء والوفاء والأهل والولد.
العنصر الثانى : مكان اكتساب الحقوق وحمايتها وأداء الواجبات والالتزام بها والحقوق والواجبات مدار الحياة السياسية.
والعنصران السابقان حسيان ظاهران يدركان بحواس المواطن.
العنصر الثالث : موضع النسبة التى يعلو بها الإنسان ، ويعتز أو يسفل أو يذل وهو ما يسمى بالانتساب أو الانتماء وهو سبب معنوى محض^(١).

(١) محمد أحمد خلف وآخرون، القومية العربية والإسلام، طبعة ثانية، صفحة ٩٨، ٩٩ بيروت.

الوطن والدولة الحديثة

كان التعريف الحديث للوطن ، أنه المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية ولما كانت الدولة فى مفهومها القانونى هى مجموعة من الناس تقطن بصفة دائمة إقليمياً معيناً وتخضع لسلطة معينة^(١).

فإن الدول تتطابق فى مفهومها مع مفهوم الوطن بالنظر إلى أنها تحوى مجموعة الأفراد الذين لهم حقوق وواجبات سياسية وترعاهم سلطة يخضعون لها فى ظل الدستور والقانون.

عناصر الدولة: (باعتبارها وطناً) ثلاثة عناصر:

■ العنصر الأول: المجتمع الإنسانى ويشمل عدداً كبيراً من الأفراد (المواطنين) وعائلاتهم وما يكونونه من أشخاص اعتبارية (جمعيات - شركات - هيئات) تظلمهم المواطنة.

(١) د. محمد حافظ غانم، الأصول الجديدة للقانون الدولى العام، طبعة ثانية ١٩٥٤م، ص ١٢٨، ١٧٨، ٢١٢ (بتصرف واختصار شديد).

■ **العنصر الثانى : الإقليم الذى يقطنه رعايا الدولة ويتحدد عادة برقعة من الأرض بما تطل عليه من مساحة مائية، وبما يظلها من فضاء جوى يعلو الأرض والماء.**

■ **العنصر الثالث : النظام السياسى ويتمثل فى الهيئة الحاكمة المنظمة التى تتميز بها الدولة وتتولى الإشراف على الإقليم وما فيه من رعايا وفق الدستور والقانون الذى ينظم الحقوق ويحميها ويحدد الواجبات ويرعى الالتزام بها.**

تقسيمات الوطن:

نعرض هذه التقسيمات عرضا موجزا مركزا حيث تنقسم الدول الأوطان إلى ما يأتى :

أولاً : (أ) دولة بسيطة: تنفرد سلطة واحدة بإدارة شئونها الداخلية والخارجية.

(ب) دولة مركبة: تتكون من اتحاد يضم أكثر من دولة وارتباطها معاً برابطة الخضوع لسلطة مشتركة تمثل فيها دول الاتحاد.

ثانياً : (أ) دول تامة الأهلية: تملك مباشرة سائر الاختصاصات على إقليمها (مستقلة).

(ب) دول ناقصة الأهلية: لا تتمتع بسائر اختصاصاتها على إقليمها نتيجة تدخل دولة أخرى أجنبية أو هيئة دولية تبشر تلك الاختصاصات مثل الدولة المحمية والدول التي تحت الوصاية والدول الموضوعة فى حالة حياد دائم (سويسرا) والدول المرتبطة بمعاهدات غير متكافئة تنقص من سيادتها الكاملة.

حياة الدولة (الوطن):

(أ) نشأتها: تنشأ الدولة (الوطن) بأحد أسلوبين: الأسلوب الأول: نشوء جديد من عناصر جديدة وذلك باستقرار مجموعة من الناس على إقليم غير مسكون أو مسكون بقبائل همجية أو بشعب ضعيف وتوفر الرغبة لديهم فى تكوين تنظيم سياسى مستقل.

(ب) وإما من عناصر قديمة بأسلوبين: الأول: انفصال ولاية أو مستعمرة عن دولة الأصل. الثانى: الاندماج كما لو اتحدت دولتان أو أكثر لتتكون دولة واحدة جديدة ويجب أن يصاحب نشوء الدولة بأى طريق من الطرق اعتراف من الدول الأخرى.

التغييرات التى تطرأ على الدول:

(أ) تغيير نظام الحكم بالانقلاب أو الثورات التى تغير نظام الحكم الداخلى أو التكوين الدستورى للدولة.

(ب) التغييرات التى تطرأ على التكوين الإقليمى للدولة فتؤدى إلى اتساعه أو نقصه.

اختصاص الدولة: الدولة لها كامل الحرية بمقتضى السيادة فى تحديد اختصاصاتها.

الدفاع: من أوليات الاختصاصات حق الدولة فى الدفاع عن كامل إقليمها براً وبحراً وجواً.

تكوين الدولة على أساس إقليمي:

تملك الدولة على إقليمها اختصاصاً عاماً. ففى حدود إقليمها تملك التدخل فى سائر مظاهر الحياة البشرية لتنظيمها وإقرار ما تراه أمناً وعدالة. ولهذا الاختصاص مظهران:

(أ) مظهر إيجابى: بمقتضاه تباشر الدولة سلطاتها فى مواجهة جميع الأشخاص الموجودين على إقليمها، وكذلك جميع الأشياء الكائنة فيه وجميع الأعمال التى تتم عليه وخاصة فى مجالات نظام الحكم وتنظيم الإدارة العامة والتشريع والقضاء.

(ب) مظهر سلبي : حق الدولة فى الانفراد بمباشرة سائر الاختصاصات فى إقليمها بحيث يمتنع على الدول الأخرى أن تبشر اختصاصاً من هذا النوع فى إقليم ليس تابعاً لها.

الدولة الحديثة من منظور إسلامى:

يتميز الإسلام بالشمول الذى يحوى ما يلى :

١ - الامتداد الزمانى فى الفكر الدينى مستعرضاً قضية البشرية منذ نشأتها.

٢ - الشمول الموضوعى الذى يغطى مجالات الحياة جميعها (سياسة واقتصادية واجتماعية وتربوية وعقائدية وأحداث تاريخية).

٣ - شمول يضم الأديان كلها ويحتويها فى مضامينها مصححاً لكل أخطائها وزيفها.

٤ - شمول الدعوة الإسلامية فلا تقتصر على جنس دون جنس، ولا قوم دون قوم وإنما تنظر إلى الإنسان فى جوهره الواحد وترد التفاضل إلى التقوى.

ومن كل ما سبق يستحيل على أية دولة حديثة مهما كان تكوينها ومهما بلغت حدودها أن تستوعب جميع انواع

هذا الشمول لتتكون منه دولة إسلامية موحدة. وإن المتأمل لجماعات المسلمين ليجدهم يمثلون نسباً تتصاعد من ٩٪ إلى ١٠٪ تقل أو تزيد في جميع دول العالم الحديث. وقليل منهم في حكم الندرة ما تطبق دولته الشريعة الإسلامية عدد لا يكاد يعد على أصابع اليد. كل ذلك يجعل الأمر بعيداً عن تحقيق ما عرف في الشريعة الإسلامية بدار الإسلام الواحدة والأمة الإسلامية الموحدة التي تسكنها وإنما هي دور للإسلام متعددة وأمة إسلامية ممزقة إلى أشلاء داخل هذه الدور بنسب متفاوتة، وذلك هو الواقع المرير^(١).

دار الإسلام:

هي الأرض التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي وتهيمن عليها شريعة الإسلام وتكون كلمة الله فيها هي العليا حيث تقام فيها حدود الله ويتولى المسلمون بعضهم بعضاً في تلك الدار. وتمتد هذه الدار بامتداد الأرض التي يسيطر عليها

(١) كامل همام، الإيمان وأثره في بناء المجتمع، كتب إسلامية، العدد ١٢٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

المسلمون وتحكمها الشريعة الإسلامية سواء كان سكان هذه الأرض جميعاً من المسلمين أم توجد إلى جوارهم أقلية غير مسلمة. وفي المقابل فإن هناك مجتمعات أخرى لا يسيطر عليها المسلمون، وقد توجد بها أقلية مسلمة، وقد لا توجد وليس هذه المجتمعات بطبيعة الحال مجتمعات مسلمة وتسيرها نظمها وقوانينها الخاصة بها وقد تربطاً بدار الإسلام علاقات سلام وأمان وقد تكون بينهما الحرب:

فإن كانت على عهد وميثاق مع دار الإسلام يكن هذا العهد والميثاق هو المرعى فلا غدر ولا خيانة ولا مباغته حتى ينقضى أجل ذلك الميثاق أو ينقصه الآخرون.

٢ - وإما أن يكون هناك اتفاق غير مكتوب على الأمان وعدم العدوان بغير معاهدة أو ميثاق، فالاتفاقية قائمة حتى ينبذها الآخرون أو تبدو منهم قدر غدر أو خيانة.

٣ - وإما أن تكون هي الحرب التي لها أهداف وقيود وقواعد و ضمانات.

ولأن البشر في عرف الإسلام أمة واحدة كلهم لآدم وآدم من تراب، لذلك أزال الإسلام كل الحواجز والسدود التي تفرق

بين الناس وتضعهم فى قوالب قومية أو عنصرية أو إقليمية ﴿يَعْبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَسِعَةٌ فَإِنِّى فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (١).

وليس معنى هذا أن الإسلام ضد فكرة الوطن، وإنما هو ضد فكرة أن يقوم ذلك الوطن على الأسس المفرقة للناس كالجنس والعنصرية أو أى عرض من أعراض الدنيا. ويقدم الإسلام بديلاً لفكرة الوطن تنهض على أساس التآخى والتعاون والمحبة وطاعة الله. ومن هنا صار الوطن فى مفهوم الإسلام فكرة فى الشعور بدلاً من أن يكون رقعة من الأرض. ومن هنا كانت قناعة المنتمين للمجتمع الإسلامى بأنهم على الرغم من تباعدهم المكانى فهم أبناء وطن واحد وهم إخوة فى الله متعاونون على البر والتقوى. وهكذا حلت فكرة الإسلام وعقيدته محل فكرة الوطن لأن الأرض أرض الله والمسلمون مستخلفون فيها وكل أرض يظللها الإسلام هى لكل المسلمين وطن وسكن بغير استغلال طائفى أو عنصرى، فالجميع فوق أرض الله ووفقاً لشريعته سواسية لا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض أو أحمر على أسود إلا بالتقوى (٢).

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

(٢) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن فى تربية المجتمع، الخانجى مصر، صفحة ١٠٣ وما بعدها.

المواطن

تمهيد:

إلى المواطن محور الموضوع وقطب البحث الذى يقيم فى
المواطن سكناً والذى ينتمى إلى الوطن جنسية ووطنية والذى
يتفاعل بالمواطنة وينشط متمتعاً بحقوقها موفياً بالتزاماتها.

التعريف بالمواطن:

المواطن يأخذ جذوره من الوطن ليس أرضاً ولا ماء ولا
شجراً ولا رملاً ولا حجراً، ولكن الوطن فى أوسع معانيه الذى
يمنح المنتمى إليه الإقامة والحماية والانتماء والعمل والكسب
والاستقرار والتنقل والتعليم والاستشفاء والحرية وحق
المشاركة فى الحكم والتوجيه واستعمال الفكر واليد واللسان
وهى جميعها متاحة من مدلولات الكلمة. والمواطن يوطن الوطن
ليكون معه كلما كان معه.

ويلتقى المفهوم الأسمى للوطن مع المفهوم الأسمى للإنسان فى
أنه ليس تجريدياً، ولكنه يأخذ من كل مضامين الوطن ليمنحه
كل مضامين المواطن لينتقل مفهوم المواطن إلى مفهوم أشمل وهو

المواطنة. وبذلك يزيد المواطن اقترباً من أسمى مفهوم الإنسانية فتصبح المواطنة إنسانية مضافاً إليها التعلق بشخص آخر يشاركه في الوطن، ويقتسم معه كل مضامين الوطن والمواطن^(١).

المفهوم السياسي للمواطن:

هو ذلك الفرد الذى يعيش فى الوطن له من الحقوق وعليه من الواجبات. والمواطن الصالح الذى يلبى نداء الوطن ويدافع عنه بروحه وماله وبكل ما يملك من فكر وثقافة وخبرات فى شتى الميادين هو ذلك العامل والفلاح والمعلم والطبيب والعالم الذى يشارك بفاعلية فى جميع الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية^(٢).

مفهوم الإنسان المواطن فى الفكر المعاصر:

هو الكائن الذى يجب أن تتجه جميع أنواع نشاطه إلى تنمية جسمه وروحه وحرية وكرامته. وفى كلمة واحدة

(١) الشيخ محمد متولى الشعراوى من كتابه «فيض الرحمن فى تربية الإنسان» طبعة ٣، الجزء الأول، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) د. محمد زكى عويس من مقال المتأوطنون له فى جريدة الأخبار عدد ١٦٨٢٨ سنة ٥٥، ١٩/٦/٢٠٠٦م.

إنسانيته. فهو المواطن الإنسان. وفي المرجعية الأوروبية الحديثة المعاصرة يقدم لنا نموذجاً للكمال الإنساني فكرياً وأخلاقياً وجمالياً^(١).

المواطن من وجهة نظر القانون:

هو صاحب الحق الذي يستأثر به دون غيره فيتمتع بما يخوله من سلطات، وهو قسمان:

(أ) الشخص الطبيعي : الإنسان بما له من أهلية وجوب أى صلاحية لاكتساب الحقوق والتحمل بالالتزامات وهى عند البعض أهلية كاملة واستثناء توجد ناقصة ليعتبر صاحبها قاصراً كالصغير المميز والسفيه أو تكون معدومة كالمجنون والصبى غير المميز.

وتبدأ شخصية الإنسان بتمام ولادته حياً وتنتهى بوفاة وفاة طبيعية، واستثناء إذا كان مفقوداً يحكم القاضى بموته بمرضى أربع سنوات على فقدته إن كان يغلب على غيابه الهلاك بحرب أو فيضان أو زلزال.

(١) د. محمد عابد الجابرى مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القديمة (٢٦) قضايا الفكر العربى.

وللشخص المواطن حالة تنظوى على الجنسية التى تعنى انتسابه للدولة والوطن وقد تكون أصلية وقد تكون مكتسبة بشروط يحددها القانون.

وهناك قرابة النسب وقربة المصاهرة. والحالة الدينية التى توضح الدين وله اسم يطلق عليه. وقد يكون له لقب يضاف لاسمه. (ب) الشخص الاعتبارى أو المعنوى: هى شخصية افتراضية مجازية أثبتها القانون لجماعات من البشر أو لمجموعات من الأموال لغرض اقتصادى أو اجتماعى أو لهدف سياسى. وله بداية ونهاية تتحددان فى قرار القانون بالإنشاء أو الإلغاء وله اسم يختلف عن أسماء مكونه وموطن وجنسية وذمة مالية^(١) والأمثلة عليه: الشركات - الجمعيات - المؤسسات - الهيئات - النقابات.

المواطن من منظور إسلامى:

هو الإنسان المخلوق من صانع الوجود وهو - كما أراده الله - سيد على جميع أجناس الكون. والمواطن كلمة تعنى التعامل

(١) الشيخ محمد متولى الشعرواى، من فيض الرحمن فى تربية الإنسان، طبعة الثالثة، جزء أول، الكتاب الذهبى روزاليوسف.

فى تجاوب مع الوطن ولىس مجرد الحىاة فى رحابه؁ ولكن
فى تجاوب مع مراحل حىاته. فالوطن يسعد وبشقى وبسمو
علمياً وحضارياً وسىاسياً بمواطنيه^(١). وقد عبر الشاعر^(٢) عن
هذا المعنى السامى بقوله:

فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب لىس تننظم البلادا

المواطن فى الدولة الإسلامية:

باعتباره إنساناً: طبعته - شخصيته - مكانته.
أولاً: طبعته: مزيج من المادية والروحانية وكان جديراً
بحمل أمانة التكليف وعمارة الكون بأصل خلخته التى أرادها
الخالق المبدع الذى أحسن كل شىء خلقه^(٣).
ثانياً: شخصيته: شخصية بارزة لا تفنى فى مجتمع الدولة
وإنما تقوم بإعانة الوطن وتعمل على بقاءه وصلاحه كما تعمل
الدولة على بقاء هذه الشخصية.

(١) د. محمود سلام زناى؁ مبادئ القانون أو المدخل إلى دراسة القانون سنة
١٩٧٧؁ صفحة ٣٣٢ - ٣٧١.

(٢) الشاعر هو أبو العلاء المعرى؁ شاعر عربى كان كفى البصر.

(٣) د. محمد أنيس عبادة سلسلة دراسات فى الإسلام عدد ١٥٨؁ المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية.

وصلاح كل منهما ضروري للآخر فلا تنافر بين الاثنين ولا تعارض^(١).

ثالثاً: مكانته: للمواطن مكانة كبرى بينها الإسلام من ثلاث نواح:

(أ) أكرمه الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٢).

(ب) استخلفه في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

(ج) حمّله الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٤) ﴿٧٢﴾.

والإسلام رفع شأن الإنسان المواطن لذاته لا لاعتقاده وعقيدته فالآيات القرآنية السابقة تتحدث عن الإنسان تارة وعن بني آدم تارة أخرى. ومعنى هذا أن كل إنسان له في الإسلام قدسية

(١) الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية، سلسلة صوت الحق، توزيع دار الجهاد، دار الاعتصام.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

الإنسان إنه فى حمى محمى وحرى محرم ما لم يهتك هو حرمة نفسه وينزع بيده الستى المضروب عليه بارتكاب جريمة ترفع عنه تلك الحصانة^(١).

ويتميز المواطن الإنسان المسلم بأنه يستمد قيمه وسلوكه من السماء لا من الأرض ويستمد شرعيته التى تنظم سلوكه من الوحي لا من الهوى.

وأما بالنسبة للمرأة فهى جهاز روحى عجيب يلقى فى قلب الرجل أسرار القوة ومعانى الثقة بالنفس، وهى إنسان كريم وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة، وقد قضت سنة الله أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أمانتها الخاصة، وأن تجعل سعادتها منوطة بأداء وظيفتها مشاركة فى تكوين الأسرة جنباً إلى جنب مع الرجل بصلة المودة والرحمة^(٢).

المواطن الإسلامى تكوين محمى:

لن يبلغ المواطن المؤمن هذا التكوين إلا إذا ارتبط بشخص سيد المرسلين ﷺ برباطين متلازمين.

(١) فهمى هويدى «مواطنون لا ذميون» طبعة أولى سنة ١٩٨٥م، صفحة ٨١ دار الشروق.

(٢) د. عبد الرحمن عميرة، رجال ونساء أنزل فيهم قرآن، مجلد ثان صفحة ٣٧.

الأول: رباط الإيمان بذاته النبوية: آية هذا الإيمان أن يمارس المواطن المسلم بمكوناته الإنسانية تلكم الفاعليات الشامخات التي أرسى ركائزها سيد الموحدين عليه صلوات الله، وهذه الفاعليات كما يأتي:

– الفاعلية الأولى: حفظ الأبدان بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان.
– الفاعلية الثانية: تنقية الأرواح بكثير الأذكار وبعديد الصلوات.

– الفاعلية الثالثة: تهذيب الأنفس بجمال الأخلاق وتجميل الخصال.

– الفاعلية الرابعة: تعليم العقول بعلم القرآن وبتعاليم أقوال الرسول ﷺ وبممارسة المؤمن المواطن لهذه الفاعليات الشامخة تنطبع مكوناته الذاتية بالكينونة البشرية للرسول المصطفى ﷺ فيسمو إلى علياء الإسلام.

الثانى: رباط الانتماء لذاته النبوية: وآية هذا الانتماء أن يحقق كل مواطن مسلم بمرئياته الانفرادية تلكم التفاعلات الراسخات التي جمع على محورها إمام المرسلين ﷺ عامة أهل الإسلام وهذه التفاعلات كما يلي:

التفاعل الأول: أن يتبين بعقله فوائد تباين الطائفيات ليكون الواحد فى تجمعاتها.

التفاعل الثانى: أن يلتمس فى نفسه عدالة فوارق الطبقات ليصير النافع فى مجتمعاتها.

التفاعل الثالث:

أن يتعرف بروحه إلى خواص ألوان القوميات ليصبح الواحد فى مجاميعها.

التفاعل الرابع: أن يرتاح بدنه لسكنى التضاريس الإقليميات ليتمس المواطن فى جميعها.

وبإتفاق كل مواطن مسلم لهذه التفاعلات الراسخات تصطبغ مريئاته الانفرادية بالكينونة البشرية للزعيم المجتبى صلى الله عليه وسلم فيسمو بمفرده إلى علياء المسلمين. بهذا الرباط الإيمانى الانتمائى يكون كل من أراد الارتقاء إلى المعية المحمدية المانعة بمكوناته الإنسانية وبمريئاته الانفرادية محمدي التكوين وعندما يصير كل فرد من المسلمين محمدي التكوين يتحول عنده الالتزام المتزامن والمتتابع من التزام بأداء إلى أسوة باقتداء.

وهكذا فالارتباط بشخص سيد البشر محمد ﷺ يتكون من كل مسلم مواطن محمدي التكوين جمع طريق المعية المحمدية المانعة تحت ظل راية الزعامة المحمدية الجامعة فيكون عامة المواطنين المسلمين جمع إنسان محمد ﷺ^(١).

(١) الوثيقة البيضاء - الأسرة الدندراوية تكوين وكيان سمو الأمير الفضل ابن العباس.

حقوق المواطن

حقوق المواطن إلى أقسام ثلاثة رئيسية هي :

تنقسم

١ - حقوق عامة أوردتها الدراسات القانونية.

٢ - حقوق خاصة بالفرد جاءت بقوانين وقرارات خاصة.

٣ - حقوق المواطن من منظور إسلامي.

وسنعرض هذه الحقوق تبعاً لهذه التقسيمات كما يلي :

أولاً: حقوق المواطن فى الدراسات القانونية:

تعريف الحق : تعددت النظريات التى عرف أصحابها

الحق ونعرض خلاصتها فيما يلى :

(أ) نظرية الإرادة: تعرف الحق بأنه قدرة أو سلطة

إدارية فهو سلطة معينة يقربها القانون لإرادة صاحبها.

(ب) نظرية المصلحة: وتعرف الحق بأنه مصلحة يحميها

القانون وتقوم على تحقيقها والدفاع عنها قدرة إرادية معينة.

وهكذا ارتبطت هذه النظرية فى تعريفها للحق بنظرية الإرادة

حيث جعلت المصلحة تقوم على تحقيقها والدفاع عنها قدرة إرادية.

(ج) النظريات الحديثة: تتعدد فى اتجاهات ثلاثة هى :

١ - الحق ينشئ علاقة انتماء بين الشئ الذى يرد عليه ،
ومن صاحب الحق بمقتضاها يكون لصاحب الحق دون غيره
التسلط والحجة فى مواجهة الغير ويتمتع بالحماية القانونية.

٢ - الحق ميزة يمكن للمستفيد أن يدعيها. وهذه الميزة
تشكل مالا لصاحبه أن يتصرف فيه بمعنى أن تكون له القدرة
على نقله إلى الآخرين أو التخلي عنه أو تركه لهم.

٣ - الحق تقييد مشروع لحرية الغير تقرره القاعدة
القانونية لصالح صاحب الحق الذى يفيد بذلك من مجال
مخصص له لممارسة سلطاته.

وبعد استعراض جميع هذه النظريات فى تعريف الحق
نلاحظ عليها ما يلى :

١ - يجمعها كلها قاسم مشترك هو وجود علاقة بين الحق
وصاحبه.

٢ - هذه العلاقة الموجودة فى كل نظرية تختلف فى
مضمونها من واقع النظرة إليها أو استنادها. فهى إما انتماء
وإما سلطة وإما قدرة وإما ميزة أو تقييد.

٣ - جميع النظريات فى تعريف الحق تبين أن هذا الحق
يقرب به القانون أو يحميه أو يكون بشكل مشروع أو تحت

الحماية القانونية. وبالمعنى العام لا بد أن يكون فى إطار من الشرعية القانونية^(١).

أنواع حقوق المواطن فى الدراسات القانونية:

تتنوع إلى أنواع مختلفة كما يلى :

أولاً: الحقوق السياسية والحقوق المدنية:

(أ) الحقوق السياسية: تثبت للمواطن فى الدولة بهدف تمكينه من المشاركة فى حياتها السياسية ولا يعترف بها للأجانب كحق التصويت فى الانتخابات والاستفتاءات وحق الترشح فى المجالس النيابية والشعبية.

(ب) الحقوق المدنية: وهى أوسع نطاقاً ولا تتسم بالطابع السياسى وتضم كل الحقوق التى يحتاج إليها الأفراد لمباشرة ما تنطوى عليه حياتهم من أنشطة.

ثانياً: الحقوق المالية والحقوق غير المالية:

(أ) الحقوق المالية: هى التى يمكن تقويمها بالمال وتدخل فى الذمة المالية ويمكن التعامل فيها ويجوز التصرف فيها

(١) د. محمود سلام زناتى، مبادئ القانون أو المدخل لدراسته، القانون سنة ١٩٧٧م صفحة ٢٩٥ وما بعدها.

والحجز عليها وتجوز وراثتها ، وتخضع لنظام التقادم سواء بالنسبة لاكتسابها أو لانقضائها. ومن أمثلتها حق الملكية وحق الانتفاع.

(ب) الحقوق غير المادية: هى التى لا تقوم بالمال كالحقوق السياسية ومعظم الحقوق الأسرية (كولاية الأب) ولا تخضع للتعامل ولا يجوز التصرف فيها ولا الحجز عليها ولا يسرى عليها التقادم اكتساباً وانقضاءً ، ولكن يمكن أن تنشأ عنه حقوق مالية ، وذلك عند الاعتداء على أحدها. كما أن هناك حقوقاً لها طابع مزدوج كحق المؤلف على مؤلفه له جانب معنوى غير مالى وجانب مادى وهو حق مالى.

ثالثاً: الحقوق العينية والحقوق الشخصية والحقوق الذهنية:

١ - الحقوق العينية: هى حقوق تنصب على أشياء وتخول لصاحبها سلطة مباشرة على الشئ المعين بالذات وله ميزة التتبع أى السلطة فى ممارسة حقه على الشئ فى أى يد يوجد. وتنقسم هذه الحقوق إلى :

أصلية: لا تستند فى وجودها إلى حق آخر فهى توجد مستقلة ، وتكون مقصورة على ذاتها وتتنوع إلى حق

الملكية: هو أهمها وأكملها ، فلصاحبه كل السلطات على الشئ المملوك.

حق الاستعمال: استخدام الشئ فيما أعد له.

حق الاستغلال: هو استثمار الشئ.

حق التصرف: هو استخدام الشئ استخداماً يستنفده كلياً أو جزئياً أو بإحداث تغيير جوهري فيه، وقد يكون تغييراً مادياً بالقضاء على مادته، وقد يكون تغييراً قانونياً بنقل ملكية كل أو بعض عناصره للغير، وينتفع إلى حق الملكية وحق الانتفاع وحق الاستعمال وحق السكنى.

حق الحكر: يكون على العقار الموقوف ولا يجوز حق الحكر إلا لضرورة ولا يتجاوز ٦٠ سنة وينتقل للورثة.

حق الارتفاق: تكليف يتقرر على عقار لصالح عقار آخر كحق المسكن أو المرور أو الشرب^(١).

الحقوق العينية التبعية: هي حقوق تستند في وجودها إلى حق شخص وهي تنشأ لضمان الوفاء به، والضمان نوعان: ضمان عام (الذمة المالية)، وضمان خاص يضاف إلى الضمان

(١) المرجع السابق، د. محمود زنتي، مبادئ القانون صفحة ٣٠٤ وما بعدها.

العام (الذمة المالية) والحق العيني التبعى يكفل لصاحبه أن ينفذ على المال الذى يتقرر عليه الحق ولو كان هذا المال قد نقلت ملكيته إلى آخر (ميزة التبع). كما أن لصاحب الحق العيني التبعى أن يحصل على ماله من دين قبل المدين مفضلاً على غيره من الدائنين (ميزة الأفضلية)، وأنواع الحقوق العينية التبعية هي:

● حق الرهن: هو نوعان: رسمى: ينشأ بمقتضى عقد رسمى يتم تحريره بواسطة موظف عام بمكتب توثيق ويكون على العقار ولا تنتقل حيازة المال المرهون. حيازى: تنتقل فيه حيازة المال ولا يحتاج إلى توثيق ويكون للمنتقل.

● حق الاختصاص: للدائن الصادر لصالحه حكم واجب التنفيذ الحق فى طلب تقرير حق الاختصاص له على عقار أو أكثر من عقارات مدينة وذلك بتقديم عريضة دعوى لرئيس المحكمة الواقع فى دائرتها العقارات المطلوب تخصيصها ويدون رئيس المحكمة فى ذيل العريضة أمره بالاختصاص وللاحتجاج به لدى الغير.

● حق الامتياز: هو أولوية يقرر القانون الحق منه مراعاة منه لصفته ولا يكون إلا بنص القانون وهو نوعان:

عام: يرد على كل أموال المدين ولا يخول لصاحبه إلا ميزة الأولوية (التقدم).

خاص: يقتصر على مال محدد أو أموال معينة من أموال المدين ويخول لصاحبه ميزتى التتبع والألوية (التقدم).

٢ - الحقوق الشخصية: (حقوق الدائنية): الحق الشخصى رابطة بين شخصين بمقتضاها يحق لأحدهما (الدائن) أن يطالب الآخر (المدين) بأداء عمل معين أو الامتناع عن عمل معين فإذا لم يف المدين للدائن بما ارتبطا به يحق للدائن أن يقاضيه وينفذ حكمه على أموال المدين التى يمكن الحجز عليها لبيعها.

٣ - الحقوق الذهنية: هى حقوق ترد على النتاج ذهنى كحق المؤلف على مؤلفه وحق المخترع على براءة اختراعه. وهكذا ينتهى عرض الحقوق وحق الدراسات القانونية بأنواعها المختلفة عرضاً مركزاً يتناسب مع ظروف مساحة الكتاب. أما تفصيل الحديث عنها فيرجع إليه فى المراجع القانونية التى تزخر بشرحها المستفيض^(١).

(١) المرجع السابق، د. محمود سلام زناتى، مبادئ القانون ص ٣٠٥ وما بعدها.

الحقوق الخاصة بالمواطن «القوانين والمقرارات الخاصة»:

يحتاج كل مواطن وهو يمارس حياته اليومية إلى العلم بحقوقه فى مواجهة رجال الشرطة والنيابة العامة والقضاء. وتتمثل المواقف أمامهم كما يأتى:

أولاً: فى مواجهة الشرطة:

(أ) استيقاف المواطن: وما يستتبعه من اقتياد إلى قسم الشرطة ومستلزمات الاستيقاف من إجراء مزيد من التحرى: ولما كان ذلك كله يمس حرية المواطن ويعتبر قيداً عليها فإنه لا يجوز إلا إذا كان المواطن المار فى الطريق قد وضع نفسه طواعية واختياراً موضع شبهة أو ريبة ظاهرة كأن يبدو عليه الارتباك والتلفت يميناً ويسرة حتى لو أسفر الاستيقاف الباطل عن كشف حالة تلبس فإن كافة الإجراءات المتخذة بشأنها تكون باطلة.

(ب) القبض على المواطن المتهم: يمثل اعتداء ظاهراً على حرية الشخصية، لذلك فهو إجراء خطير لحجز المواطن وتقييد حريته فى التجوال والحركة. ولذلك فلا يستطيع رجل الشرطة أن يباشر هذا الإجراء إلا إذا كان من مأمورى الضبط القضائى وكانت الجريمة من الجرائم التى يجوز القبض فيها.

مأمور الضبط القضائي «فتان»:

الأولى: أعضاء النيابة العامة ومعاونوها وضباط الشرطة وأمنائها والكونستبلات والمساعدون ورؤساء نقط الشرطة وعمد ومشايخ البلاد ومشايخ الخفراء ونظار ووكلاء محطات السكك الحديدية (فى دائرة عملهم).

الثانية: (فى جميع أنحاء الجمهورية) مديرو وضباط إدارة المباحث العامة بوزارة الداخلية وفروعها بمديريات الأمن وضباط مصلحة السجون ومديرو الإدارة العامة لشركة السكة الحديد والنقل والمواصلات وضباط هذه الإدارة وقائد وضباط أساس هجانة الشرطة ومفتشو وزارة السياحة. وسلطة هؤلاء - أى منهم - أن يقبض على المواطن فى حالة التلبس بالجنايات أو الجنح التى يعاقب عليها القانون بالحبس لمدة تزيد على ثلاثة أشهر بشرط وجود دلائل كافية على الاتهام. وله أن يفتح فوراً محضراً يسمع فيه أقوال المواطن المتهم المقبوض عليه وليس من حقه استجوابه وإذا لم يأت المواطن المتهم بما يبرئه وجب على مأمور الضبط إرساله فى مدى ٢٤ ساعة إلى النيابة العامة التى يجب عليها استجواب

المتهم فى ظرف ٢٤ ساعة أخرى ثم تأمر إما بالقبض عليه إن كانت هناك دلائل على اتهامه وإما بإطلاق سراحه إن ثبتت براءته.

حضور المحامى: لا مانع من حضوره أثناء تحرير محضر الأحوال أمام مأمور الضبط القضائى ولا يلزمه القانون بقبول هذا الحضور وإذا منعه لا يكون المحضر باطلاً. أما إذا كان التحقيق بناء على ندب من النيابة العامة أو أمامها فلا يمكن منع المحامى من الحضور.

التعرض للمادى: هو مجرد وسيلة للحيلولة دون فرار المواطن فى حالة التلبس فى جريمة لتسليمه إلى السلطة المختصة بالتحقيق، ويملك ذلك الحق المواطن العادى كما يملكه من باب أولى رجل الشرطة، ولو لم تكن له صفة الضبطية القضائية لأنه إجراء تقتضيه الضرورة.

التفتيش: فى جميع الأحوال التى يجوز فيها لمأمور الضبطية القضائية أن يقبض على المواطن المتهم يجوز له أن يفتشه أيضاً. فإذا كانت المواطنة أنثى فلا يجوز تفتيشها إلا بمعرفة أنثى يندبها لذلك مأمور الضبط - ولو رضيت - والتفتيش المحظور، وهو ما يتعلق بالمواضع التى تعتبر من

عورات المرأة والتي تخدش حيائها إذا مست. أما اليد وأصابع القدم العارية فتفتيشها صحيح ولو لم تباشره أنثى.

وتفتيش شخص آخر غير المواطن المتهم: لا يجوز إلا إذا كان فى المسكن الذى فيه المواطن المتهم وقامت قرائن قوية على أنه يخفى شيئاً يفيد فى كشف الحقيقة أو بدا عليه الارتباك.

تفتيش مسكن المواطن المتهم: لا يجوز لمأمور الضبط بأية حال إلا إذا حصل على إذن من النيابة العامة.

تفتيش دكان أو متجر أو سيارة المواطن المتهم: حرمتها مستمدة من اتصالها بشخص المواطن. ففى جميع الحالات التى يجوز فيها تفتيش شخص المواطن المتهم يجوز أيضاً تفتيشها.

تفتيش مسكن المواطن غير المتهم: لا يجوز لمأمور الضبط ولا للنيابة العامة إلا بعد الحصول مقدماً على أمر مسبب من القاضى الجزئى بعد اطلاعه على الأوراق.

تفتيش المسافرين إلى الخارج والقادمين فى المناطق الجمركية: لا يعتبر تفتيشاً قضائياً بالمعنى المقصود قانوناً وإنما هو تفتيش إدارى يقوم به الموظفون العموميون، ومن فى حكمهم. يقصد تحقيق أهداف إدارية أو وقائية عامة، فإذا

أسفر هذا التفتيش الإدارى عن ظهور جريمة فى حالة تلبس
فإن الدليل المستمد منه يكون صحيحًا.

تفتيش الخارجين من المصنع على بوابته: صحيح لأنه يرجع إلى
رضاء المواطن وقبوله وفق النظام الموضوع له. وإذا أسفر عن شيء
تعد حيازته جريمة قامت بذلك حالة التلبس.

وقت التفتيش: ليس له أوقات معينة يجب إجراؤه فيها
فيمكن حصوله فى أى وقت.

كيفية دخول البيت بعد الحصول على إذن تفتيشه: من حق
مأمور الضبط دخوله بدون استئذان صاحبه أو حائزه أو فى
غيبته وبالطريقة التى يراها مناسبة ولو كان متنكرًا.

بطلان إجراء التفتيش إذا وقع على مكان غير المكان المتوقع
فيه الشيء المطلوب فيبطل التفتيش عن جاموسة مسروقة لو
تكشف عن وجود مواد مخدرة فى دولاب ملابس.

ثانيًا: حقوق المواطن المتهم أمام النيابة العامة:

النيابة العامة هى جهاز يمثل المجتمع ، هدفها تحقيق
المصلحة العامة وتطبيق القانون على الوجه السليم.

ونظامها: هرمى من القمة إلى القاعدة، النائب العام والنواب
العموم المساعدون والمحامون العموم الأول والمحامون العموم

ورؤساء النيابة العامة ووكلاء النيابة العامة الأول ووكلاء النيابة ومساعدو النيابة العامة ومعاونو النيابة العامة. ومهمتها: مباشرة التحقيق مع المتهمين فى الجرائم بأنواعها (الجنايات والجنح والمخالفات).

وبعد استجواب المتهم قد تأمر بإطلاق سراحه عند عدم وجود أدلة كافية لإدانتته وبدون كفالة أو تعلق الإفراج عنه على دفع كفالة يقدرها وكيل النيابة العامة فى أمر الإفراج بمبلغ يدفع لخزانة المحكمة كضمان التزام المواطن المتهم بالحضور وبالواجبات الأخرى المفروضة عليه. وقد تأمر بحبسه احتياطياً (قد عدل القانون وألغى الحبس الاحتياطى فى كثير من الجرائم)، كما لا يوجد ما يسمى بالحبس المطلق.

وخلال مدة الحبس إما أن يصدر الأمر بالإفراج عنه بكفالة أو بدون حتى يستوفى التحقيق وبعد إنهائه قد ترى النيابة أن التهمة غير صحيحة أو أن الفعل لا يعاقب عليه القانون أو أن أدلة الجريمة غير كافية، وعندئذ تصدر أمراً بعدم وجود وجه لإقامة الدعوى، وكذلك تصدره عند عدم الأهمية أو اكتفاء بالجزاء الإدارى إن كان موظفاً توقع عليه ذلك الجزاء. أما إذا

وجدت النيابة العامة جريمة من أى نوع فإنها تأمر برفع الدعوى إلى المحكمة المختصة.

حقوق المواطن أمام القضاء: تدرج المحاكم القضائية إلى الأنواع الآتية:

المحكمة الجزئية: وهى محكمة درجة أولى من قاض واحد. **محكمة الجناح والمخالفات المستأنفة:** درجة ثانية وهى إحدى دوائر المحكمة الابتدائية إذا ما طعن أصحاب الشأن فى حكم محكمة الدرجة الأولى وتشكل من ثلاثة قضاة.

محكمة الجنايات: هى إحدى دوائر محكمة الاستئناف وتشكل من ثلاثة من مستشارى المحكمة وتختص بنظر الجنايات وبصفة استثنائية تنظر الجناح التى تقع بطريق النشر والصحف وتنعقد بكل مدينة وأحكامها لا تقبل الاستئناف.

محكمة الأحداث: توجد دائرة فى كل محافظة وتشكل من قاض واحد يعاونه خبيران من المتخصصين أحدهما على الأقل من النساء، ويكون حضورها إجراءات المحاكمة وجوباً وتختص بالنظر فى الجرائم التى يرتكبها المواطن الحدث أياً كان نوعها (جناية - جنحة = مخالفة)، وإذا اشترك مع الحدث بالغ يقدم الحدث وحده أمام محكمة الأحداث.

ويجوز استئناف الأحكام الصادرة منها عدا أحكام التوبيخ، وتسليم الحدث إلى والديه أو لمن له حق الولاية عليه فلا يجوز استئنافها إلا لخطأ فى تطبيق القانون أو بطلان فى الحكم أو فى الإجراءات المؤثرة فيه.

محكمة النقض: مقرها العاصمة (بالقاهرة)، وتشكل بها عدة دوائر لنظر القضايا الجنائية والمدنية والتجارية والعمالية والأحوال الشخصية، وتصدر أحكامها من خمسة مستشارين. وتقتصر وظيفتها على مراقبة صحة تطبيق القانون وتفسيره وسلامة إجراءات الدعوى وتنظر الطعون المرفوعة إليها بشأن أحكام محكمة الجنايات أو الصادرة من محاكم ثانى درجة فى الجرح ولا يجوز الطعن بالنقض فى المخالفات.

المحكمة الدستورية العليا: هيئة قضائية مستقلة مقرها العاصمة (القاهرة) تختص بما يلى:

- ١ - الرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح.
- ٢ - الفصل فى تنازع الاختصاص بين جهات القضاء والجهات ذات الاختصاص القضائى.
- ٣ - الفصل فى النزاع الذى يقوم بشأن تنفيذ حكمين نهائيين متناقضين صدر أحدهما من جهة قضائية والآخر من جهة أخرى.

٤ - تفسير نصوص القوانين الصادرة من السلطة التشريعية
ومن رئيس الجمهورية وفقاً لأحكام الدستور.
وتصدر أحكامها وقراراتها من سبعة أعضاء.
حضور المواطن المتهم أمام المحاكم:

١ - أمام محكمة الجench والمخالفات بناء على طلب النيابة العامة قبل انقضاء الجلسة بيوم كامل فى المخالفات. وبثلاثة أيام كاملة على الأقل فى الجench غير مسافة الطريق.
٢ - إذا كان التكليف بالحضور باطلاً فلا يجوز للمحكمة أن تفصل فى الدعوى فإذا حكمت فيها وقع الحكم باطلاً، وذلك مشروط بعدم حضور المواطن المتهم فإذا حضر على رغم البطلان فليس له أن يتمسك به، بل له أن يطلب التأجيل لتحقيق دفاعه ويلزمه القانون الحضور بنفسه إن كانت التهمة الموجهة له جنحة عقوبتها الحبس الذى يجب تنفيذه فور صدور الحكم. مع عدم الإخلال بحق المحكمة فى أن تأمر بحضور المتهم شخصياً فى أية قضية منظورة أمامها.

٣ - يجب على المحكمة أن تجيب المواطن المتهم ومن يدافع عنه فى أى طلبات يكون من شأنها التأثير فى رأيها

كسماع بعض الشهود. فإذا رفضت طلباً وجب أن تبين سبب الرفض وإلا كان الحكم مشوباً بعيب الإخلال بحق الدفاع، أما المخالفات فالمحاضر المحررة فيها لها حجية بالنسبة لما ورد بها من وقائع ما لم يثبت ما ينفيها. وتبدأ إجراءات المحاكمة بسؤال المواطن المتهم عما إذا كان اعترافاً أو لا. فإن كان اعترافاً جاز لها الاكتفاء به. أما إذا أنكر فتواصل المحكمة بالإجراءات بسماع الشهود والمحامي ويكون المواطن المتهم آخر من يتكلم.

٤ - لخطورة الحكم بالإعدام أوجب القانون على المحكمة أخذ رأى المفتى بإرسال أوراق القضية إليه قبل الحكم فيها، فإذا لم يصل رده فى عشرة أيام تالية للإرسال حكمت المحكمة فى الدعوى.

المعارضة فى الحكم: إذا صدر غيابياً من محكمة الجناح والمخالفات الجزئية أو المستأنفة يمكن للموادر المتهم المعارضة فيه خلال عشرة أيام من تاريخ إعلانه من إضافة مدة المسافة ويترتب على المعارضة وقف تنفيذ الحكم حتى يتم الفصل فى المعارضة إلا إذا كان الحكم بالحبس لمدة شهر فأكثر، ولم يكن للمتهم المواطن محل إقامة معين فيجوز للمحكمة بناء على طلب النيابة العامة أن تأمر بالقبض عليه وحبسه.

فإذا غاب المعارض فى الحكم الغيابى فللمحكمة أن تعتبر المعارضة كأن لم تكن، كما يجوز لها أن تأمر بالتنفيذ المؤقت بالنسبة للتعويض. ويجوز لو حكم باعتبار معارضته كأن لم تكن أن يطعن فى الحكم أمام المحكمة الأعلى (الجنح المستأنفة) فإذا قبلت عذره ألغت الحكم وأعادت الدعوى إلى المحكمة التى أصدرته لتتنظر فى المعارضة من جديد.

ويجوز لكل من المواطن والمتهم والنيابة العامة استئناف الحكم فى جنحة ولو كان بالغرامة. أما المخالفة فإذا كان الحكم بغير الغرامة والمصاريف أو حكم بالبراءة أو لم يحكم بما طلبته النيابة العامة جاز الاستئناف خلال عشرة أيام من تاريخ النطق بالحكم الحضورى أو من تاريخ إعلان الحكم الغيابى مع إضافة مواعيد المسافة.

الاستئناف: يتم بتقرير فى قلم كتاب المحكمة التى أصدرت الحكم ويحرره الموظف المختص على النموذج المعد لذلك، ويمكن أن يتم بمعرفة وكيل أو محامى المواطن المحكوم عليه والاستئناف بوقف التنفيذ ما عدا الأحكام واجبة النفاذ كالحكم بالغرامة أو التى تصدر على المتهم العائد أو من ليس له محل إقامة ثابت.

وتنقصد بهيئة استئنافية من ثلاثة قضاة وتسمى محكمة الجنح والمخالفات المستأنفة، ويجب أن يصدر الحكم بإجماع آراء القضاة إذا استأنفت النيابة العامة حكم البراءة ولا يضار الطاعن بطعنه فلا تسترد عليه العقوبة إما أن تلغى وإما أن تخفف. ويمكن الطعن في الحكم بالاستئناف أمام محكمة النقض.

الطعن بالنقض: يجوز في الأحكام الصادرة في الجنايات والجنح المستأنفة ولا يجوز في المخالفات ولا في الجنح التي لم يطعن فيها بالاستئناف. وميعاده أربعون يوماً من تاريخ صدور الحكم الحضورى ولا يضاف ميعاد المسافة ولا يجوز الطعن في أحكام محكمة النقض ولا التظلم منها.

طرق أخرى للطعن:

١ - طلب إعادة النظر: لا يجوز إلا في الأحكام الصادرة بالعقوبة دون الصادرة بالبراءة في الجنايات والجنح فقط، وليس له ميعاد. ويشترط أن يقدم بعد الحكم النهائى إذا ما ظهرت وقائع وأوراق يكون من شأنها ثبوت براءة المحكوم عليه. ويقدم الطلب إلى النائب العام الذى يرفعه إلى محكمة النقض.

٢ - إشكالات التنفيذ: وهى التى تنشأ عن تنفيذ الحكم بسبب غموضه أو بطلانه أو انعدامه، ويقدم من المحكوم عليه

إلى محكمة الجنايات إذا كان الحكم صادرًا منها وإلى محكمة الجناح المستأنفة فيما عدا ذلك - ويعرض الإشكال على المحكمة بواسطة النيابة العامة على وجه السرعة ويجوز لها عند الاقتضاء وقبل التقديم إلى المحكمة أن تأمر بوقف التنفيذ للحكم مؤقتاً^(١).

حقوق المواطن وواجباته من منظور إسلامي:

كفلت الشريعة الإسلامية للمواطنين حقوقاً بدونها تصبح حياتهم ناقصة، ولا تتحقق بدونها عبوديتهم لله وحده على الوجه الأكمل.

وأشهر هذه الحقوق وأظهرها: حق الحياة، وحق الحرية، وحق العلم، وحق الملكية.

وبمقتضى التوازن والتوسط والمعادلة لو تمنح الشريعة الإسلامية حقاً بغير واجب وجعلت أداء هذا الواجب بمثابة الفرض على القادر.

وسنشرح كل حق من هذه الحقوق الأربعة الشهيرة وما يقابله من واجب ثم نعقب على ذلك كله بإيضاح واجبات

(١) سلسلة غريب للثقافة القانونية، نخبة من رجال القانون، طبعة أولى، مكتبة غريب الفجالة، جمع وترتيب عبد المجيد أحمد غريب.

التكافل بصوره وأنواعه المختلفة وتمويله لنستكمل الصورة لما شملته الشريعة فى هذا المجال :

الحق الأول: حق الحياة: فالله سبحانه وتعالى هو صانع الخلق أو صاحب النشأة الأولى. فحق الحياة حق أصيل ليس لمخلوق من دون الخالق أن يعتدى عليه أو يسلبه إلا فى إطار ما تقرره الشريعة الإسلامية فى حالتين :

أولاهما: أن يكون حرمان النفس من حق الحياة قصاص نفس بنفس.

ثانيهما: أن تكون النفس قد أتت فساداً فى الأرض استحققت عليه حد الحرابة والخطر لا بتهديد حق الحياة نتيجة لعدوان الغير فقط، وإنما قد يكون نابغاً من النفس ذاتها فقد يصل اليأس بالإنسان المواطن إلى درجة قتل نفسه فيكون مطروداً من رحمة الله.

الواجب المقابل : هو المحافظة على هذه الحياة ووقايتها من كل خطر وصرفها إلى طاعة الله عبادة وعملاً صالحاً. وتجريم محاولة قتل النفس (الانتحار).

الحق الثانى: حق الحرية: فالناس جميعاً عباد الرحمن منحوا حق الحرية حتى لا يكونوا عبيداً لسواه، ولذلك

فالإسلام ينفر من العبودية لغير الله ولا تتم صيانة الحرية بمجرد الفرار من الظلم. فذلك مباح فقط للمستضعفين، أما المسلمون الأقوياء فمأمورون بالدفاع عن حريتهم ضد كل معتد عليها أو ظالم لها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩). وتمتد الحرية لتشمل حرية العقيدة التي هي احترام لإرادة الإنسان وحق الحرية حق مطلق في الإسلام لا يقيده إلا الالتزام بحرية الآخرين.

الواجب المقابل: عدم الإشراك بعبادة الله وعدم اقتصار الحرية على أناس مخصوصين أو على مجالات محدودة والالتزام بالدفاع عنها وحمايتها من الاعتداء عليها.

الحق الثالث: حق العلم: تأكيداً له كفل الله سبحانه وتعالى تعليم أبى البشر آدم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ (٢).

حق العلم مكفول في الإسلام بشروط أربعة هي:

١ - ألا يكتم علماً يستفاد به في هداية الناس لما فيه صلاحهم.

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

- ٢ - ألا يمتنع صاحب علم عن توظيفه فى خدمة الناس.
- ٣ - ألا يشتري صاحب العلم به ثمنًا قليلًا فيهدر من قيمته.
- ٤ - أن يطلب العلم من أهله فور الحاجة إليه.
- والواجب المقابل له : هو عدم كتمان العلم وتوظيفه فيما ينفع الناس ويطلب الزيادة فيه.
- والحق الرابع: حق الملكية:** عندما استخلف الله الناس فى الأرض سخر لهم ما فى الكون ولم يميز أحدًا إلا بما كسبت يده حلالًا طيبًا.
- وعلى الإنسان أن يتصرف فيما أنعم الله عليه من عرض الدنيا بما يحفظ عليه حياته بغير إسراف أو تقتير. واشترط الإسلام لإقرار حق الملكية أن تكون نتيجة لما يوافق الشريعة الإسلامية. ولا يكون مصدرها محرّمًا كالربا والغش والظلم.
- والواجب المقابل : ما دام المال مال الله والناس مستخلفون فيه فلا بد من أداء حق الله منه وحق السائل والمحروم فى أسلوب الزكاة والصدقات. وقد شمل التكافل بصوره وألوانه المختلفة الواجبات الرئيسية التى تجب على المواطن المسلم نحو مجتمعه وذلك على النحو التالى :

أنواع التكافل:

يتنوع التكافل على النحو الآتي:

١ - التكافل بين المواطن وذاته: من خلال تزكية النفس وتطهيرها من الخضوع للهوى والشهوات والبر بها في حدود ما أحل الله وعدم قتلها بالانتحار أو تعريضها للهلاك بغير مبرر.

٢ - التكافل بين المواطن وذوى قرباه: من ذوى الأرحام برأ وإحساناً للصلة بهم: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(١).

٣ - تكافل جماعة المواطنين إزاء نفسها: تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾^(٢). واحتساب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ - التكافل بين المواطن والجماعة: بكل من تربطه بهم علاقة رحم أو صلة جوار أو غيرها ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٣).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

٥ - تكافل المجتمع الإسلامى مع نفسه : تحقيقاً للصالح العام للمجتمع وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١).

وصور هذا التكافل تتمثل فى :

(أ) رعاية حقوق المستضعفين من أعضاء المجتمع بالبر بهم والإحسان إليهم وحسن معاشرتهم.

(ب) بذل الأموال والرعاية للفئات المحتاجة كالإنفاق فى سبيل الله.

٦ - صورة أخرى للتكافل :

(أ) زيارة المريض وإطعام الجائع : فإن زيارة المريض تحمل معانى الود والوفاء وتترك آثاراً طيبة فى نفس المريض وذويه، إلا إذا كان المريض مريضاً بمرض معدٍ، فقد دعا الإسلام إلى عزله بعيداً حماية للمجتمع من العدوى وانتشار المرض.

وأما إطعام الجائع : فإنه يؤلف القلوب ويحقق التعاطف والتآلف.

(ب) صلاة الجماعة : حُببت إليها الشريعة الإسلامية باعتبارها مظهرًا من مظاهر التضامن الاجتماعى الإسلامى.

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(ج) الإنابة في الحج : فى حالة عدم الاستطاعة بعدم القدرة على أداء المناسك شرع الإسلام التوكيل فى أدائها ، كما أجاز الحج بكل مناسكه نيابة عن الغير الذى توفى ولم يتمكن من أداء هذه الفريضة أو لم يستطع أدائها لأى سبب من الأسباب بشرط أن يكون الوكيل قد سبق له الحج عن نفسه .

(د) التضامن مع الموتى : ووصل التضامن إلى الأموات بأداء بعض العبادات عنهم وإنفاذ وصاياهم وأداء ما عليهم من زكاة وزيارة قبورهم والترحم عليهم بصلاة الجنازة أو الصدقة أو الدعاء أو قضاء الديون وصنع الطعام وتقديمه لأهل الموتى لانشغالهم بهمهم ومواساتهم فيه بمشاركتهم أحزانهم والنهى عن سب الميت والاستغفار له^(١) .

ألوان التكافل:

ننظر إلى التكافل من زاوية أخرى لنرى تلونه وانطباعاته على النحو الآتى :

١ - التكافل الأدبى : هو إحساس كل مواطن نحو إخوته فى الإنسانية وإخوته فى الدين بما يخالط مشاعرهم فيفرح

(١) د. صلاح مصطفى الفوال، التصوير القرآنى للمجتمع، المجلد الأول من ص ٦٣٩ وما بعدها بتصرف واختصار - دار الفكر العربى.

لفرحهم ويأسى لمصائبهم، ويتمنى لهم الخير ويكره أن ينزل بهم الشر.

٢ - التكافل السياسى : هو تحمل كل مواطن لتبعة الحكم وتوجيه السياسة العامة للدولة وذلك بالمشاركة فى رأى وإبداء المشورة.

٣ - التكافل الدفاعى : هو مشاركة كل مواطن قادر فى وجوب الدفاع والحماية لأرض الإسلام وذلك من أجل المحافظة على بقاء الجماعة الإسلامية واستقرار وجودها آمنة.

٤ - التكافل الجنائى : هو مسئولية الجماعة متضامنة عما يقع فى المجتمع من جرائم.

٥ - التكافل الأخلاقى : يقصد به حراسة المبادئ الأخلاقية النابعة من عقيدة المؤمنين.

٦ - التكافل الاقتصادى : بالتعاون الصادق فى المحافظة على اقتصاد الأمة سليماً يودى دوره الطبيعى فى خدمة الحياة.

٧ - التكافل العبادى : يتمثل فى تكافل الجماعة الإسلامية فى أداء العبادات وإظهار شعائرها كاجتذاب أصوات المؤذنين فى أوقات الصلوات الخمس فى مساجد المدن والقرى لأداء صلاة الجماعة فى هذه المساجد. ثم شعائر الحج وتجمع المسلمين

من جميع بقاع العالم الإسلامى لأدائها. ومظاهر إحياء شهر رمضان المعظم بالصيام والعبادة فى كل بلاد المسلمين.

٨ - التكافل العلمى : أوجب الإسلام على المواطن العالم أن يعلم المواطن الجاهل وألزم المواطن الجاهل أن يتعلم من المواطن العالم. فى الحديث الشريف^(١) : «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويتعظون أو لأعجلنهم بالعقوبة».

٩ - التكافل الحضارى : بجمع كل الألوان السابقة ويزيد عليها كل عمل فيه صلاح للأمة ورفعته ويتطلب تعاوناً إنسانياً بناءً فى الدعوة إلى الخير وإقرار دعائمه. وتعاوناً إنسانياً بناءً فى الابتعاد عن الشر وسد منافذه.

١٠ - التكافل العائلى : فالمواطن فرد وجزء من أسرة تتكون من أصوله وفروعه. كما هو جزء من الإنسانية العامة وأخ من حق الإسلام عليه أن يربطه بأسرته وعائلته التى تجمعت فيها كل هذه المعانى وأوجب على الجميع حق التكافل.

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ونقله الحافظ والمنذرى فى الترغيب والترهيب، صفحة ٢٢، جزء ٣.

١١ - التكافل المعيشى : هو ما يرتبط بحياة الناس فى معيشتهم من طعام وغذاء وكساء وسكن وحاجات اجتماعية، وهو واجب لا يمكن للمجتمع المسلم أن يتخلى عنه ويستحق هذا التكافل نوعان:

(أ) نوع يتميز بالعجز عن الكسب كلياً أو جزئياً : هم: الفقراء والمساكين والمكفوفون والمقعدون والشيوخ واللقطاء واليتامى والأسرى - ولهم تشريع المساعدة.

(ب) نوع لا يتصف بالعجز ولكنه يحتاج إلى المساعدة المالية ولهم تشريع الإعفاف وتشريع الماعون وتشريع المشاركة وتشريع الضيافة وتشريع الإسعاف وتشريع الطوارئ. موارد التكافل: الزكاة كفريضة، وزكاة الفطر والكفارات والركاز والغنائم والفيء والوصية والوقف والنفقات بالتبرع والנדور والأضاحى والخزانة العامة والكفاية بحرية حركة ولى الأمر حماية لحقوق المحتاجين^(١).

(١) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن الكريم فى تربية المجتمع. الخانجى، مصر من صفحة ٣٥٣ وما بعدها.

المواطن غير المسلم

تحتوى دار السلام فى الوطن الإسلامى ضمن ما تحتوى على مجموعات تختلف فى عقائدها ودينها عن الدين الإسلامى ولم تغفل الشريعة الإسلامية حكم هؤلاء بل شمل وضعهم دستور المدنية منذ السنة الأولى من الهجرة، إذ يقول (اليهود والمؤمنون أمة واحدة) ولا توجد كلمة أقلية إذ لا أقلية فى الإسلام، ولكنه وضع تصوراً للأمة المحتوية على التنوع فى كل شىء دينياً وقومياً ولغوياً وجنسياً وعرقياً وثقافياً، فهذا التنوع سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَجَمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾.

والإسلام لا يريد أن يحل محل الآخرين وبعض الناس يتصور أن ظهور الإسلام على الدين كله فى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٢٨) ﴿٢﴾. يلغى

(١) سورة هود، آخر الآية ١١٨ وأول الآية ١١٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

الديانات الأخرى وليس هذا تصورًا صحيحًا وإنما المقصود هو ظهور الحل الإسلامى على الحلول الأخرى لمشاكل المجتمع. ومن أمثلة معاملة النبى ﷺ الطيبة لأهل الكتاب أنه فى العام العاشر من الهجرة جاء وفد من نصارى نجران إلى المدينة وصادف عيد الفصح فى ذلك التاريخ، ففتح النبى ﷺ لهم أبواب مسجد النبوة فصلوا فيه صلاة عيد الفصح.

ولم يعقد العهد لأهل نجران فقط بل إنه وصف العهد على أنه عهد أمان لكل من يدين بالنصرانية على مر التاريخ (ولنجران وحاشيتها ولأهل ملتها ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحتها وأعجمها له جوار الله وزمة محمد على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا ينتزع أسقف من أسقفية ولا راهب من رهبانيتها، وأن أذب عنهم وأحرص على دينهم وملتهم أينما كانوا بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى لأننى أعطيتهم عهد الله وعلى أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذى استوجبه حق الذمام والقرب عن الحرمة واستوجبوا أن يذب عنهم كل

مكروه وحتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم). وهذا فيما يخص اليهود والنصارى حتى الديانات الوضعية مثل المجوس وعبداء النار والبوذيين والهندوس وغيرهم^(١).

المواطنون المسلمون وأهل الكتاب:

ينظم المنهج القرآنى فى مضمونه علاقة المواطنين المسلمين بالمجتمعات غير المسلمة بعد استسلامها فيجعلهم فى ذمة المسلمين وحمايتهم ويسميهـم أهل الذمة، ويفرض من الحقوق ما يعجز أى نظام بشرى فى تاريخ الإنسان أن يلحق به حتى ذابوا فى المجتمع الإسلامى وأصبحوا شركاء فى بنائه وإسعاده، كما حدد ما عليهم من واجبات للمجتمع الذى حماهم ودافع عنهم وهىأ لهم الاستقرار والأمان والخلصة (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وتطبيقات هذه القاعدة تتمثل فيما يلى:

(أ) حرمة الدم والمال والعرض: هو الرأى الغالب فى الفقه الإسلامى قدم الذمى كدم المسلم وديته كديته. فعن أبى هريرة d أن النبى ﷺ قال: (ألا من قتل نفساً معاهداً له

(١) اللواء الإسلامى، العدد ١٢٧٧ سنة ٢٥ فى ١٢ / ٦ / ٢٠٠٦م الصفحة الرابعة، ندوات د. محمد عمارة.

ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ونقض ذمة الله فلا يروح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً^(١).

وحكى أن رجلاً مسلماً قتل رجلاً من أهل الكتاب فرفع إلى النبي ﷺ فقال أنا أحق من وفى بذمته ثم أمر به فقتل^(٢). وإن المسلم تقطع يده إذا سرق مالا مملوكاً للذمى.

(ب) مباشرة التصرفات التى تسمح بها شرائع أهل الكتاب: حتى لو كانت تتعارض مع ما تقضى به الشريعة الإسلامية مثل تعاطى الخمر وتربية الخنزير والتجارة فيهما، فهى مال مقوم عندهم ومن أتلّفها يلزم بقيمتها عند الحنفية، وأجاز جمهور الفقهاء للمسلم أن يوقف أو يوصى بشيء من ماله لغير المسلمين من أهل الذمة فتكون الوصية أو الوقف نافذاً^(٣). وذلك لأن الوصية صلة وهى تجوز مع اختلاف الدين ولأن أعمال البر تجوز بين أهل الأديان المختلفة.

(١) أخرجه الترمذى فى صحيحه بشرح ابن العربى المالكى، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠هـ.

(٢) أبو الأعلى المودودى، حقوق أهل الذمة، كتاب المختار فهمى هويدى.
(٣) المادة (٩) من قانون الوصية ٧١ لسنة ١٩٤٦م - قانون الوقف ٤٨ لسنة ١٩٤٨م. عبد الوهاب خلاف، أحكام الوقف، الطبعة الثالثة صفحة ٨١ لسنة ١٩٨١م.

(ج) الحق فى العمل والتجارة والضمان الاجتماعى : ضمن الإسلام لغير المسلمين الحق فى ممارسة جميع ألوان النشاط الاقتصادى سواء بالتعاقد مع الغير أم بالعمل لحساب أنفسهم ، ولهم أيضاً مزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدون من ألوان الأعمال والحرف كالمسلمين. والضمان الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى يعتبر مبدأ عاماً يشمل جميع أفراد المجتمع مسلمين وغير مسلمين ، فإن دفع الضرر عن المحروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج واجب دينى للمواطن أياً كان مسلماً أو ذمياً^(١).

وفى عقد الذمة الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة النصارى بالعراق (جعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعمل من بيت المال. ورأى سيدنا عمر بن الخطاب يهودياً شيخاً شريراً فأرسل إلى خازن المال وقال له : انظر هذا وضرباه والله ما أنصفناه إذا أكلنا شيبته ثم نخله عند الهرم)^(٢).

(١) د. عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن فى تربية المجتمع / الخانجى بمصر ١٩٧١م.

(٢) عبد الرحمن الشرقاوى ، الفاروق عمر بن الخطاب ، طبعة أولى سنة ٨٦ مركز الأهرام.

(د) تولَّى الوظائف العامة : سار الحكام المسلمون على مدى أربعة عشر قرناً باستثناء عهود الضعف على إجازة تولى غير المسلمين الوظائف القيادية إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة. كما يحق لهم الخدمة فى الجيش تطوعاً دون إجبار ، وتولى مناصب القضاء ، ولهم الحق فى التمتع بممارسة الحقوق السياسية والمدنية التى للمسلمين كالمشاركة فى وزارة التنفيذ والتوظيف بالوظائف العامة^(١). وقد استخدم معاوية النصارى واليهود فى أعمال الحكومة واستمر ذلك فى الدولة العباسية. ومن الأمثلة عيَّن معاوية آل سرجون النصارى فى وظائف مهمة فوالد يوحنا الدمشقى منصور بن سرجون كان وزيراً ، ويوحنا نفسه عين مربيّاً لابن معاوية يزيد وغيره من أبناء الخلفاء وعين المأمون نصرانياً عاملاً لجمع الخراج فى مدينة بادرة^(٢).

المشركون والإسلام:

إذا حل الإسلام ببلاد تفتشى فيها الشرك وحاول أن يقيم فيها هذا النظام الاجتماعى والاقتصادى فيحل ما أحل الله

(١) وهبة الزحيلي ، نظام الإسلام منشورات جامعة بنى غازى ، صفحة ٤٠٣ ط ١.

(٢) حسين العودات العرب.

ويحرم ما حرم الله. فلم يذعنوا فما من منصف إلا يقول بقتالهم
حتى يكون الدين كله لله وحتى تصبح كلمة الله هي العليا،
وكلمة الذين كفروا هي السفلى^(١).

(١) محمد هيكل، حياة محمد، صفحة ٤٧٧، ٤٧٨.

المواطنون المسلمون «المجتمع المسلم»

اللغوى للمجتمع: من جمع الشيء المتفرق فاجتمع،
والجمع اسم لجماعة الناس^(١).

المعنى

المفهوم المعنوى للمجتمع: عبارة عن مجموعة من الناس الذين يعيشون سوياً، ويقال إنهم يعيشون فى مجتمع أو جماعة. وتستعمل الكلمتان بمعنى واحد تقريباً والاختلاف فى استعمالهما يكون على نوع ودرجة التنظيم فى المجموعة وعلى مدى وعى الناس بأسلوبهم الاجتماعى فى الحياة، وكلا الكلمتين يستلزم وجودهما بعض العوامل المشتركة: كالحياة فى إقليم جغرافى معين والإحساس بالانتماء إلى نفس نوع المجموعة. ويمكن القول بأن المجتمع هو الجزء الاجتماعى الكامل من الجماعة^(٢).

ويجب أن يكون هناك ترابط بين أفراد المجتمع ويظهر هذا الترابط فى مجموعة من القيم والأهداف التى تميز فلسفة عامة

(١) الإمام الرازى، مختار الصحاح، صفحة ٥٠٦.

(٢) أ - ك أناوى، التربية والمجتمع، ترجمة د. وهيب إبراهيم سمعان، مكتبة الأنجلو المصرية صفحة ٣، سنة ١٩٧٠م.

لهذا المجتمع يمكن أن تشتق منها فلسفة تربوية. والمجتمع الإسلامي ترتبط حياته تماماً بتعاليم الله ونظمه^(١).

كيفية تماسك المجتمع الإسلامي ليحقق أهدافه:

لما كان المجتمع الإسلامي هو المحتوى الذى يمكن المواطنين المكونين له من تحقيق إرادة الله من استخلافهم فى الأرض، ولما كان هو الكيان الذى تتجسد فيه شريعة الله. فقد وضعت الشريعة الإسلامية الدعائم التى تحقق له التماسك ليصل إلى هدفه. وأهم هذه الدعائم ما يلى:

١ - التوحد والتآخى والتمسك بالعقيدة الإسلامية.
٢ - الأمانة عند التعامل بين الأعضاء تدعيماً للثقة والمحبة بينهم.

٣ - التحذير من وهن الروح المعنوية وضعفها لدى أعضاء المجتمع.

٤ - عدم استغلال الضعفاء ومعاونتهم والأخذ بيدهم.
٥ - التكافل فى إشباع مختلف حاجات أعضاء المجتمع.

(١) د. مصطفى الرافعى، الإسلام ومشكلات العصر، طبعة أولى بيروت صفحة ٣٢، سنة ١٩٣٢م.

٦ - تيسير الأمور وتسييرها مع تسليم العبودية لله والتوكل عليه^(١).

خصائص المجتمع الإسلامى:

الإسلام فى حقيقته منهج ربانى للحياة البشرية وتتوقف كل إنجازات ذلك المنهج على الجهد البشرى لعباد الله المواطنين الصالحين بعيداً عن الخوارق غير المألوفة، وما هو فوق طاقة البشر وفى حدود الواقع المادى لكل بنية تحتويها دار الإسلام. فالإسلام لا يمكن أن ينزل عن الوجدان البشرى ولا أن يشد الناس بعيداً عن واقعهم حتى لا ينزل عنهم.

ولم يكن الإسلام يسعى لإيجاد جمهرة من النساك وإنما كان مسعاه ولا يزال لإيجاد مجتمع صالح تمتزج فيه الدنيا بالآخرة بغير تعارض أو التواء ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

ويرتكز الإسلام على العقل والعمل ولا يفرق بين الدنيا والدين لأنه دين بغير واسطة لأن فى وسع كل إنسان فى أى

(١) د. عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن فى تربية المجتمع، مكتبة الخانجى سنة ١٩٧٩م.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

زمان أو مكان أن يقيم علاقة مباشرة مع ربه من غير وسيط،
ونستعرض خصائص المجتمع الإسلامى فيما يلى :

١ - ذو طبيعة خاصة : حيث لم توجد إرادة بشرية وإنما
أوجدته إرادة الله تعالى وصنعتة شريعة خاصة لم تخضع لتطور
تاريخى.

٢ - مصنوع لا مطبوع : صنعتة القدرة الربانية مستهدفة
احتواء البشرية وتنشئتها وفقاً لمنهاج إلهى يختلف من
حيث شكله ومضمونه مما وجد عليه البشر آباءهم أو عما
تفرضه عليهم الظروف. فلم ينشأ تلبية لاحتياجات محلية
موقوتة.

٣ - محاط بسياج من الشريعة : فهى تمثل إطاراً يحيط
بالمجتمع الإسلامى ويحميه ، ولكنه لا يشكل قيداً على تطوره
ونموه. فإنها تحرص على أن يظل بطابعه المميز عن غيره
من المجتمعات الأخرى مع السماح بالاجتهاد المشروع الذى
يراعى الحاجات المتجددة والمتعددة.

٤ - يسائر الفطرة البشرية السليمة : لأن الخالق الله أعلم
بطبيعته التركيبية البشرية وخصائصها.

٥ - يحتوى المواطنین المسلمین مكونین له ویكون تجسیداً حیاً وتطبیقاً واقعياً لشریعة الله ومنهجه ومناخاً صالحاً یتمكن الإنسان من خلاله من تحقیق مهمة استخلافه فی الأرض، كما شاء الله له^(١).

مقومات المجتمع فی الشریعة الإسلامیة:

یقوم المجتمع المسلم على مميزات تسمو به على غیره من المجتمعات وهی:

أولاً: مؤمن، فقرة الإیمان والعقیده لدى مواطنی المجتمع الإسلامی هی الضمان الأكید بل الوحید لیس فقط لقیام ذلك المجتمع وإنما أيضاً لبقائه واستمراره ونموه وینتج عن ذلك ما یأتی:

(أ) مبدأ وحدانیة الله یجب أن یستمر فی وجدان المجتمع الإسلامی كما رسمته الشریعة الإسلامیة.

(ب) المنتمون للمجتمع الإسلامی واحد من اثنين، إما مطیع لله ولرسله ملتزم بحدوده وأوامره ونواهیة فله الجنة، وإما عاص لتلك الحدود فله النار.

(١) د. صلاح مصطفى الفوال، التصویر القرآنی لمجتمع الإنسان والنظم الاجتماعیة، الجزء الأول، دار الفكر العربی.

(ج) العلاقة بين الله والإنسان لا تخرج عن كونها أمراً وطاعة أمر من الله باسم الربوبية وطاعة من عباد الله والتزام بموجب المخلوقية.

(د) الغاية من الشريعة الإسلامية ليست تقييد الناس وإجبارهم على الخضوع لسلطان الله وإنما الغاية منها السيطرة على الشهوات والغرائز النابعة من النفس البشرية ووضع ضوابط تنظم حدود التعامل فى إطار المجتمع.

(هـ) الإيمان بالله والإذعان لمشيئته شرط ضرورى حتى يتبين أعضاء المجتمع الإسلامى ما يحتويه من سبل هداية وتطهير وإصلاح.

(و) الإيمان بالله مقرون بالإيمان برسوله ﷺ.

ثانياً: متساو: فالمساواة تعد من المبادئ الأساسية التى ينهض عليها المجتمع الإسلامى. فمن خطبة الوداع «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربى على عجمى ولا عجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا فليعلم

الشاهد منكم الغائب»^(١). وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤًا رَبَّكُمْ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَةٍ﴾^(٢).

ثالثاً: حر: عباد الله المخلصون أحرار يستمدون حريتهم جميعاً
من إخلاصهم في عبوديتهم لله وإفراد الألوهية له. والحرية التي
قصدتها الشريعة الإسلامية متعددة الجوانب فهي:

■ حرية فكرية: عندما احترمت الشريعة الإسلامية فكر
الإنسان وخاطبت عقله ودعته للتأمل في خلق الله والتدبر في
شئون الكون من حوله.

وحرية التعبير عن الرأي من غير غرور أو صلف أو إخلال
تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

ومن الأدب الإسلامي في التعبير عن الرأي ألا يقتصر
الحوار بين أفراد المجتمع المسلم وحدهم وإنما يمتد إلى
غيرهم من أهل الكتاب تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا
أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤).

(١) سيرة ابن هشام، مكتبة البابي، طبعة ثانية (من خطبة الوداع).

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٤) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

وتمتد حرية التعبير بالرأى إلى المشاركة فى تسيير أمور المجتمع الإسلامى بالشورى لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١). إن الإنسان المواطن فى مجتمع الإسلام حر بكل ما فى الحرية من معان لا يسيطر عليه طاغوت ولا تستعبده شهوة ولا تتحكم فيه لذة أو متاع أو عرض زائل.

رابعاً: مسئول: فالمسئولية قد تكون مشاركة فى حكم وقد تكون دعوة للخير وقد تكون أمراً بالمعروف أو نهياً عن منكر، وقد تكون رعاية حق الله وحق الناس فيما يؤديه كل فرد من عمل أو يضطلع به من أمور.

خامساً: عادل: فأحكام المعاملات وقواعد السلوك وما يخص الحكم والقضاء والشهادة والبيع يقوم على العدل ﴿وَالْعَدْلُ﴾^(٢) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ^(٣).

سادساً: متكافل: كفالة المسلم والجماعة المسلمة والمجتمع المسلم كل منهم إزاء نفسه وإزاء الآخرين كفالة متبادلة.

(١) سورة الشورى، الآية ٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٨.

سابعاً: عامل: يعد العمل أساس الاستخلاف في الأرض ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾^(١).

سمات الأمة الإسلامية:

١- **قيمية:** تبرز قيم المحبة والتكافل وخشية الله والإقرار بوحدانيته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والبر بالوالدين والإحسان إليهم وعدم إيذاء الأبناء وعدم ارتكاب من الأفعال ما لا يتفق وحقوق الله والناس.

٢- **متماسكة:** تتوحد وتترابط من خلال اتباع الطريق المستقيم ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢).

٣- **ملتزمة:** تأمر المعروف وتنهى عن المنكر مدفوعة إلى فعل الخير وعمل الصالحات.

٤- **متضامنة:** تتعاون وتتناصر في محبة وتعاطف وتواد.

٥- **متمايزة:** وذلك نابع من ولاية المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض دون سواهم والتمايز على أساس عقائدى هو الإيمان.

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

٦- مسألة: يسود السلام بين أعضائها وتعمهم المحبة. كما أنها مسألة مع غيرها ممن ليسوا على دين الإسلام إلا إذا أنقضوا العهد فأمرت بالرد قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا أَيْدِيَكُمْ لِلَّذِينَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩) ﴿١﴾.

٧- مجاهدة: مقاتلة في سبيل الله دفاعاً عن الدين والنفس والعرض. والحرب كما سبق قد تكون ضد المعتدين الذين ينقضون العهد والمواثيق.

٨- عزيمة غير مهانة: لا تهاود على حساب مبادئها أو قيمها أو دينها وإنما في سبيل ذلك كله تقدم النفس والمال والولد حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين^(٢).

تصور الوثيقة البيضاء للمجتمع والكيان الإسلامي^(٣):

إنه ليس كياناً من الكيانات الطائفية أو الطبقية ولا القومية أو الإقليمية وإنما هو كيان اجتماعي يجمع الأفراد والتجمعات المتباعدة في وعاء الأسرة الواحدة (الأسرة الدندراوية).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) د. صلاح مصطفى الفوال، التصور القرآني للمجتمع، الجزء الأول، صفحة ٦٩، ٦٠١.

(٣) سمو الأمير الفضل بن العباس، الوثيقة البيضاء، الأسرة الدندراوية (تكوين وكيان).

بنية الكيان:

حتى يتحقق فى الكيان الدندراوى شكل بنیان مجتمع الإسلام وتشكيل نسيج أمة المسلمين تتألف البنية البشرية لكيانه الاجتماعى من مجتمع أى مكان أينما وجد السكان ومن أكثر من وطن مهما ابتعدت بأهلها الأوطان.

بنية الكيان الإسلامى من المنظور الدندراوى:

يجب أن يكون فيها من أفراد طبقات المجتمع بفئاته الأربع:

- ١ - فئة المال: عصب الحياة وفيهم الغنى وفيهم الفقير.
- ٢ - فئة القوة: دفع الحياة وفيهم القوى وفيهم الضعيف.
- ٣ - فئة العلم: تقدم الحياة وفيهم العالم وفيهم الأمى.
- ٤ - فئة النفوذ: نظام الحياة وفيهم الراعى وفيهم الرعية.